حانة الشعراء

للأستاذ على محمود طه

[من ديوانه الجديد « زهر وخمر » وقد صدر اليوم]

هِيَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا ... مَعْرُوشَةٌ بِالزَّهْرِ وَالقَصَبِ
فِي ظُلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا ... أَنْفَاسُ لَيْلٍ مُقْمِرِ السُّحُبِ
وَزَهَتْ بِمِصْبَاحٍ جَوَانِبُهَا ... صَافِي الزُّجَاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ
بَاخُوسُ فِيهَا وهو صَاحِبُهَا ... لَمْ يَخْلُ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ
قَدْ ظَنَّهَا ، وَالسِّحْرُ قَالَبُهَا ، ... شِيدَتْ مِنَ اليَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

* * *

إِبْرِيقُهُ حَلْيٌ مِنَ الدُّرَرِ ... يُزْهَى بِهِ قَدَحٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَأَنَّ مَا حَوْلَيْهِ مِنْ صُوَرٍ ... مُتَحَرِّكَاتٌ ذَاتُ أَنْفَاسِ
تَرَكَتْ مَوَاضِعَهَا مِنَ الأُطُرِ ... وَمَضَتْ لَهُ فِي شِبْهِ أَعْرَاسِ
مِنْهُنَّ عَازِفَةٌ عَلَى وَتَرٍ ... مُتَفَجِّرٍ بِأَرَقِّ إِحْسَاسِ
وَغَرِيرَةٌ حَوْرَاءُ كَالقَمَرِ ... تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالكَاسِ

* * *

أَوَ تِلْكَ حَانَتُهُ ؟ فَوَا عَجَبَا ! ... أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءِ ؟
وَمَنِ الخَيَالُ أَهَلَّ وَاقْتَرَبَا ... « فِيْنُوسُ » خَارِجَةً مِنَ الماءِ !
فِي مَوْكِبٍ يَتَمَثَّلُ الطَّرَبَا ... وَيَمِيلُ مِنْ سِحْرٍ وَإِغْرَاءِ
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ فَتًى وَثَبَا ... مُتَعَلِّقًا بِذِرَاعِ حَسْنَاءِ
يَتَوَهَّجُونَ صَبَابَةً وَصِبَا ... يَتَمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

* * *

حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمُو ... يَقِدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَّابِ !
جَلَسُوا نَشَاوَى مِثْلَمَا قَدِمُوا ... يَتَرَقَّبُونَ مَنَابِذَ البَابِ
يَتَهَامَسُونَ وَهَمْسُهُمْ نَغَمٌ ... يَسْرِي عَلَى رَنَّاتِ أَكْوَابِ
إِنْ تَسْأَلِ الخَمَّارَ قَالَ هُمُو ... عُشَّاقُ فَنِّ أَهْلُ آدَابِ
لَوْلَا دُخَانُ التَّبْغِ خِلْتَهُمُو ... أَنْصَافَ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ

* * *

وَتَلَفَّتُوا لَمَّا بَدَا شَبَحُ ! ... فَتَانَةٌ دَلَفَتْ مِنَ البَابِ
سَمْرَاءُ بِالأَزْهَارِ تَتَّشِحُ ... أَلْقَتْ غَلَائِلَهَا بِإِعْجَابِ
وَمَشَتْ تُرَاقِصُهُمْ فَمَا لَمَحُوا ... إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ
وَسَرَى بِسِرِّ رَحِيقِهِ القَدَحُ ... فِي صَوْتِ شَاجِي اللَّحْنِ مِطْرَابِ
وَشَدَا بِجَوِّ الحَانَةِ الفَرَحُ ... لِإِلٰهَةٍ فَرَّتْ مِنَ الغَابِ

* * *

هِيَ رَقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلُمُ ... وَإِذَا « بِفِينُوسٍ » تَمُدُّ يَدَا
أَلْكَأْسُ فِيهَا وهي تَضْطَرِمُ ... قَلْبٌ يَهُزُّ نِدَاؤُهُ الأَبَدَا :
زَنْجِيَّةٌ فِي الفَنِّ تَحْتَكِمُ ؟ ... قَدْ ضَاعَ فَنُّ الخَالِدِينَ سُدَى !
فَأَجَابَتِ السَّمْرَاءُ تَبْتَسِمُ : ... أَلْفَنُّ رُوحًا كَانَ ؟ أَمْ جَسَدَا ؟
يَا أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ وَيْحَكُمُ ... أَلَّيْلُ وَلَّى وَالنَّهَارُ بَدَا !

على محمود طه

أي إنسان ، وبين تفاحة الأرض الحلوة التي داخلها الدود ، وبين الحلم الذي يرى فيه الحكيم فتاته مستسلمة لزنجي أسود يقبلها تلك القبلات الملتهبة ، وبين نهوضه من النوم مضطربا منزعجا يود لو يمزقها بأسنانه ، ... ما هذا الذي يربط تلك الصورة كلها بصورة سميراميس الملكة الفاجرة التي أرادت أن تبالغ في انتقامها من أحد أسراها المولعين بحبها فدعته إلى ليلة ناعمة راقصة ، ومنحتة من نفسها وعرضها ما لا يقدر على وصفه إلا ... الأخ المسكين البائس ... محسن ! ... على أن يصبح فيتسلمه الجلاد بأمر الملكة ليضرب عنقه ؟ ! ما هذا الذي يربط تلك الصور كلها ، وهي مفرقة على الكتاب ، متباعدة عن بعضها فيه ، موزعة على مشاهد القصة وفصولها من قبل أن يفضح محسن غش سوزي وخداعها إلى أن وقف منها على ذلك السر المهول ! ؟

وبعد ... فهل الأستاذ توفيق الحكيم بعد ذلك كله صديق المرأة وليس عدوها — كما يزعم الزاعمون — على حد تعبير الأستاذ الجليل كامل سليم بك ؟ !

ومرئي فضيلة